



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

العراق ومحاولات العودة إلى الساحة الإقليمية

علي نجات



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

العراق ومحاولات العودة إلى الساحة الإقليمية

علي نجات *

المقدمة

كان العراق من أولى الدول العربية والإسلامية التي حازت على استقلالها بعد الحرب العالمية الأولى. فكان منذ زمن بعيد مركزاً مهماً في الشرق الأوسط ولعب دوراً ريادياً في تكوين الخطابات والسياسات في المنطقة. ففضلاً عن المكانة الروحية التي يحتلها العراق في العالم الإسلامي، كان يؤدي دوراً أساسياً في تكوين الهوية العربية. ففي ثلاثينيات القرن الماضي كان العراق من ضمن الدول التي حددت تعريف القومية العربية ووضع حجر الأساس لتأسيس الجامعة العربية في أربعينيات القرن العشرين. وإلى جانب سوريا ومصر حظي بمكانة مرموقة بين الدول العربية وتكوين ثقافتها.

كان العراق منذ 1960 من أهم الدول المؤثرة في المنطقة ويدعي ريادتها منذ ذلك الحين. فهو يعد إحدى الأركان الأربع في المنطقة إلى جانب إيران وتركيا والسعودية. لكن توالي الأحداث ونهم القادة البعثيين إلى السلطة نخر العراق داخلياً وحطه من مكانته التي طالما حظي بها. فكانت الضربة القاضية له حين شنَّ حرباً ضد إيران دامت ثماني سنوات تلتها حرب الخليج وغزو الكويت عام 1990 واحتلال العراق عام 2003 فلم يتمكن بعدها العراق أن يستعيد مكانته في المنطقة، بل بات بؤرة للتوترات والصراعات فيها.

لقد خلطت الإطاحة بنظام صدام حسين عام 2003 الأوراق وأحدثت تغييرات كبيرة من توازن القوى في المنطقة؛ لأنَّ العراق منذ عام 1970 حتى عام 2003 وبسبب موقعه الاستراتيجي والجيواقتصادي وقوته العسكرية، كان من أكثر الدول تأثيراً على سياسات المنطقة وتوازن القوى. لكن بعد الإطاحة بنظام صدام حسين لم يعد العراق دولة ذات ثقل كبير في المنطقة، فقد أدى إلى حالة فراغ في القوى ما أدى إلى انهيار ذلك التوازن المعهود في المنطقة.¹

1. George Friedman "Syria, Iran and the Balance of Power in the Middle East", November 2011, 22, available at: <http://www.stratfor.com/weekly/20111121-syria-iran-and-balance-power-middle-east>.

* كاتب وباحث متخصص في شؤون الشرق الأوسط والحركات الإسلامية.

إذن بعد الاحتلال الأمريكي للعراق فقد هذا البلد دوره في المنطقة. فاحتلال العراق كان له نتائج ومآلات جمّة، منها: انهيار الجيش، واستفحال الفساد، وظهور القاعدة والجماعات الإرهابية، واختراق العراق وتحويله إلى ساحة مباحة للاعبين الأقليميين والدوليين. توالى محن العراق عندما أطلقت شرارة ما يسمى بالربيع العربي عام 2011 والحرب الدامية التي شهدتها سوريا وتأثيرها على العراق. إذ أفضحت العراق في دوامة الصراعات الأمنية، والإجتماعية، والسياسية، والاقتصادية. إلى أن نزلت الطاقة الكبرى وهي ظهور داعش واستيلائه على معظم المدن العراقية التي خلفت أفواجاً من اللاجئين والنازحين فدفعت العراق نحو شفا الانهيار.

في الحقيقة تحول العراق بعد توالي هذه الأحداث من لاعب إقليمي مؤثر إلى دولة تؤثر عليها دول أخرى بل إلى ساحة مباحة لتصفية الحسابات بين اللاعبين الأقليميين والدوليين. لكن العراق بعد إن تجاوز على أزمة الإرهاب التي عاثت في الأرض فساداً، أصبح يستعيد قوّته ويسعى للعب دور الوسيط لحلحلة أزمات المنطقة والقيام مرة أخرى بدور فاعل إقليمي.

لذلك، تسلّط هذه الورقة التحليلية للإجابة عن سؤالين رئيسيين: الأول: ما خطوات العراق الأخيرة للعودة إلى الساحة الإقليمية؟ والثاني: ما العقبات والفرص أمام استعادة دور العراق في المنطقة؟

الإجراءات الثلاثة الأخيرة للحكومة العراقية للعودة إلى الساحة الإقليمية

أولاً: الوساطة العراقية بين إيران والسعودية

بدأ العراق محاولته لاستعادة دوره حين سعى للعب دور الوسيط بين الرياض وطهران. وقد سبقت العراق عدّة دول في المنطقة كباكستان، وعمان للتخفيف من حدّة التوتر بين البلدين إلا أنّ المحاولات باءت بالفشل. ففي بدايات عام 2021، ولاسيما بعد انتهاء فترة رئاسة دونالد ترمب والمصالحة الخليجية تقدمت بعض الدول الإقليمية والدولية كقطر، والكويت، وروسيا للوساطة بين الرياض وطهران. فبعد أن نجحت محاولات الكويت للوساطة بين قطر والدول الخليجية الأربعة التي قاطعت قطر، والتي تكلمت باتفاق العلا، طرحت هذه الدولة قضية الوساطة بين إيران والسعودية. ودولياً أعلن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في كانون الثاني 2021 أن الحكومة الروسية مستعدة للوساطة بين إيران والدول العربية وحلحلة الصراع بين الطرفين.²

2.. على نجات، (مذاكرات عربستان سعودى و ايران، ضرورتها و موانع)، «المحادثات السعودية. الإيرانية؛ الضرورات والعقبات»، مركز آينده پژوهى جهان اسلام، 10 مارس 2021.

إذن بعد مُضي خمسة أعوام على انقطاع العلاقات السياسية والاقتصادية بين طهران والرياض ومساعي بعض الدول ومن بينها بغداد، نجحت دولة مصطفى الكاظمي للوساطة بين البلدين وبدأت الجولة الأولى من المحادثات بين البلدين في أبريل عام 2021 للميلاد.

اتخذ العراق في الآونة الأخيرة سياسة الحياد الإيجابي بين طرفي الصراع ووقف على مسافة واحدة بين البلدين. ولكي يثبت العراق ذلك، كان رؤساء الوزراء يقومون بزيارات كثيرة بين البلدين. لكن من بين الوزراء السابقين الذين تولوا مقاليد الحكم في العراق كان المصطفى الكاظمي الوحيد الذي نجح في كسب ثقة البلدين. فقد قام منذ توليه الحكم بزيارات إلى طهران والرياض وناقش مع مسؤولي هاتين الدولتين قضية الوساطة وحل النزاع. استفاد رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي من علاقاته مع ولي العهد السعودي محمد بن سلمان والقادة الإيرانيين لرأب الصدع بين البلدين؛ إذ اجتمع القادة العسكريون ورجال الاستخبارات السعوديين والإيرانيين في العاصمة العراقية بغداد في نيسان الماضي.

ونشرت صحيفة فايننشال تايمز في 18 نيسان عام 2021 تقريراً نقلاً من ثلاثة مصادر قالت فيه: «أجرى كبار قادة طهران والرياض الجولة الأولى من المحادثات لتحسين العلاقات بين البلدين على المستوى الأمني في الـ 9 من نيسان في بغداد وبوساطة رئيس وزراء العراق مصطفى الكاظمي». وقد جرت المحادثات بوساطة الكاظمي بين رئيس جهاز الاستخبارات السعودية خالد الحميدان ومساعد الأمين العام للأمن القومي الإيراني سعيد ايرواني، ويتوقع أن تنطلق الجولة التالية من المحادثات في العاصمة العراقية قريباً.³

من جانبه أعلن السفير الإيراني في العراق إيرج مسجدي في شهر آب عام 2021 في مركز الرفادين للحوار وبحضور كبار القادة العراقيين أنّ بلاده أجرت ثلاث جولات محادثات مع السعوديين بوساطة الحكومة العراقية وستبدأ الجولة الرابعة فور تشكيل الحكومة الجديدة في بلاده.⁴

يُذكر أنّ إحدى أهداف العراق من الوساطة بين البلدين هو حل الخلاف بين إيران

3. Andrew England, "Saudi and Iranian officials hold talks to patch up relations", APRIL18, 2021, Available at: <https://www.ft.com/content/852e94b8-ca97-4917-9cc4-e2faef4a69c8>

4. شفق نيوز، «مسجدي: إيران تقف بقوة مع العراق ولدينا جولة مفاوضات رابعة مع السعودية»، 03 أغسطس 2021، متوفر على الرابط: <https://b2n.ir/h14790>

والسعودية وتهدئة الأوضاع الداخلية وإبعاد العراق من الصراعات الإقليمية؛ ويعلم القادة العراقيون أن الخطوة الأولى لإزدهار العراق والتنمية الاقتصادية هو إنهاء الصراعات الإقليمية. ويعلم قادة هذا البلد أن تنمية العراق المستدامة تمرّ عبر الحوار والأمن السياسي؛ لذلك جعلوا الحوار على رأس أجندة أعمالهم وسعى هؤلاء القادة للتخفيف من حدّة التوتر بين دول الإقليم بغية جعل العراق بلداً آمناً للاستثمار الذي بات العراق بأمرّ الحاجة إليه.

فواقع الأمر يقول لنا إن تحسين العلاقات بين إيران والمملكة العربية السعودية سينعكس على بغداد في الدرجة الأولى. وسيؤدّي إنهاء الصراع بين الطرفين إلى أمن العراق واستقراره.⁵ فزيادة التوتر بين البلدين سيُفحم العراق في دوامة الصراع وانعدام الأمن.

إذن ذوبان الجليد في العلاقات الإيرانية السعودية يعني أمن العراق واستقراره. وإن هذه المحادثات ستفضي إلى تخفيف حدّة التوتر بين البلدين وهو الأمر الذي سينعكس إيجاباً على أمن المنطقة بكاملها. وسيفتح فصلاً جديداً في علاقات العراق وإيران والسعودية كلاعبين إقليميين أساسيين.⁶

قصارى القول إن نجاح الوساطة العراقية ورأب الصدع في العلاقات الإيرانية السعودية سيعيد العراق إلى مكانته المعهودة كلاعب إقليمي كبير له ثقله الخاص في التوازن الإقليمي. بتعبير آخر، إن نجحت بغداد في الوساطة بين إيران والسعودية فإنّها ستفرض احترامها ومنزلتها بين دول المنطقة، وهذا النجاح سيكون بمنزلة إعادة إحياء دور العراق في الشرق الأوسط بعد غياب طال عدّة عقود. وإن نجاح الوساطة العراقية للمصالحة بين البلدين سيكون نجاحاً سياسياً كبيراً لحكومة مصطفى الكاظمي.

5. Akeel Abbas, “Baghdad Conference showcases Iraq’s new role as mediator in region”, August 27, 2021, available at: <https://www.al-monitor.com/originals/2021/08/baghdad-conference-showcases-iraqs-new-role-mediator-region#ixzz7563XcWHF>.

6. Katherine Harvey and Bruce Riedel, “Can Iraq play the role of a bridge in the Gulf?”, April 22, 2021, available at: <https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2021/04/22/can-iraq-play-the-role-of-a-bridge-in-the-gulf>.

ثانياً: قمة بغداد الثلاثية ومشروع الشام الجديد

الخطوة الثانية التي قام بها العراق تتمثل في إقامة مؤتمر ثلاثي في بغداد في الآونة الأخيرة. فقد استضاف العراق في الـ 27 من تموز عام 2021 مؤتمر لقادة دول مصر والأردن والعراق والذي حضره كل من الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، والعاقل الأردني عبدالله الثاني، ورئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي. فكانت زيارة عبدالفتاح السيسي، الزيارة الأولى لرئيس مصري منذ ثلاثة عقود. ويأتي هذا المؤتمر الذي يعد المؤتمر الثالث لقادة مصر والأردن والعراق امتداداً لمساع سابقة هدفها تأسيس نظام إقليمي جديد شرق العالم العربي يحمل عنوان "الشام الجديد". فقد بدأ رئيس الوزراء العراقي الأسبق حيدر العبادي هذه المساعي وشهدت خطوات عملية في حكومة خليفته عادل عبدالمهدي الذي سعى للتقرب إلى مصر والأردن ومهد الطريق أمام هذا المشروع وطرحه في المؤتمر الثلاثي الأول الذي أقيم في العاصمة المصرية القاهرة في آذار عام 2019 للميلاد. وتعد إقامة مؤتمر يجمع هذه الدول الثلاث في العراق في الحكومة العراقية الحالية انتصاراً لحكومة مصطفى الكاظمي، وتحمل رسالة للقوى والتيارات السياسية بمختلف توجهاتها مفادها أنّ الحكومة العراقية الحالية قادرة على إعادة العراق إلى مكانته السابقة في الساحة السياسية الإقليمية وأن تعيد الأمور إلى نصابها وتؤدي دورها الريادي في المنطقة والمجتمع الدولي، فقد حققت خطوات ملحوظة في طريق استعادة دور العراق على الساحة السياسية. فاستضافة العراق لهذه المؤتمرات والقمم تحمل رسالة لدول الجوار العراقي تثبت لهم ضرورة إعادة النظر في سياساتها تجاه العراق؛ وما يزيد من أهمية هذه المؤتمرات في بغداد هو أنّ العراق يسعى لاستعادة دوره وتأثيره السابق في المنطقة. فقد تسعى الحكومات العراقية إلى أن تكون قراراتها مستقلة وفي سبيل تحقيق مصالحها القومية.

ويتمثل الهدف الاقتصادي الأساسي الذي شكّل عنوان مؤتمرات قادة الدول الثلاث تحت عنوان "الشام الجديد" في تفعيل العلاقات الاقتصادية بين هذه الدول عن طريق إحياء خط أنبوب النفط الذي ينطلق من مدينة البصرة ويمرّ عبر الأراضي الأردنية وينتهي في صحراء سيناء المصرية؛ وبهذا ستحصل الأردن ومصر على النفط العراقي إزاء تصدير الكهرباء إلى العراق والإستثمار في هذه البلد. وبهذا سيحصل البلدان على تخفيضات خاصة من الدولة العراقية وستشتري نفطها بسعر أقل من السعر العالمي بـ 16 دولاراً للبرميل. وعلى الرغم من أهمية البعد الاقتصادي لمؤتمر "الشام الجديد" إلا أنّه لا يمكن تجاهل الأبعاد السياسية والمآلات التي سيؤول إليها هذا المؤتمر على المستوى

الجيوستراتيجي والجيوستراتيجي في المنطقة.⁷ قصارى القول إن مصر والأردن بلدان مهمان بالنسبة إلى العراق والتقارب إلى هذين البلدين سيأتي أكمله وسيعزز مكانة العراق الإقليمية والدولية.

ثالثاً: مؤتمر بغداد للتعاون والشراكة

الخطوة الثالثة التي اتخذها العراق لاستعادة مكانه الإقليمية تتمثل في إقامة مؤتمر بغداد. فقد استضافت بغداد في الـ 28 من آب عام 2021 مؤتمراً حمل عنوان "قمة بغداد للتعاون والشراكة" حضر فيه قادة دول مختلفة وعلى رأسها فرنسا، ومصر، والأردن، وإيران، وتركيا، والسعودية، والإمارات، وقطر، والكويت، وبعض من المؤسسات والمنظمات الإقليمية والدولية. وهذا المؤتمر هو أول مؤتمر بهذا المستوى يُقام في العراق بعد عقود.

ونادراً ما كان العراق في السنوات الأخيرة محط الاهتمام بسبب مبادرات بناءة تقرب صفوف الدول في الإقليم. وقد شاركت نصف الدول الحاضرة في المؤتمر بأعلى مناصبها السياسية ومن أبرزها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، والعاقل الأردني عبدالله الثاني، وأمير قطر تميم بن حمد آل ثاني.

تمكن العراق بهذا المؤتمر أن يجمع بين الدول المتصارعة في ما بينها ويظهر نفسها همزة الوصل التي تربط بين تلك الدول. لأنّ جمع اللاعبين الإقليميين الأساسيين كتركيا، وإيران، والسعودية، والإمارات على طاولة واحدة بحد ذاته يُعتبر إنجازاً كبيراً لحكومة مصطفى الكاظمي؛ إذ إن العداء أو الصراع بين هذه الدول بات يطفو على السطح بعد أن كانت تتستر عليه هذه الدول بغية الحفاظ المصالح المشتركة.

إذن يمكن عد قمة بغداد للتعاون والشراكة منعرجاً حاداً في التطورات المتسارعة والمشحونة بالعداء في العقدين الأخيرين من القرن الـ 21 في الشرق الأوسط؛ بحيث تمكن من جمع الدول المتصارعة على طاولة واحدة. وقد التقى على هامش القمة الرئيس المصري عبدالفتاح السياسي بأمير قطر تميم بن حمد آل ثاني. والتقى نائب رئيس دولة الإمارات وحاكم دبي محمد بن راشد آل مكتوم، بأمير قطر تميم بن حمد آل ثاني ورئيس الخارجية الإيراني أمير عبد اللهيان.

في سياق متصل أشاد مستشار الأمن القومي الأمريكي جاك سوليفان بمساعي العراق

7. حسن فحص، «قمة الشرق الجديد في بغداد؛ حاجة داخلية أم ضرورة إقليمية؟» انبندنت عربي، 82 يونيو 2022، متوفر على الرابط: <https://www.independentarabia.com/node/236656>

وأكد دعم بلاده لهذا المؤتمر الأقليمي واعتبره انتصاراً للدبلوماسية العراقية.⁸ من جانبه أكد الرئيس الأمريكي جو بايدن على أهمية المؤتمرات الإقليمية وضرورة إقامة مثل هذه المؤتمرات لحلحلة الصراعات في المنطقة.

موجز القول إن إقامة مؤتمر بغداد إنّ دلّ على شيء إنّما يدل على استعادة العراق دوره في المنطقة ومكانته التي لطالما حظي بها في الساحة السياسية. وبما أنّ العراق يتمتع بعلاقات جيدة مع دول الجوار فإنّ هذا الموضوع حوّلته إلى لاعب إقليمي فعال في المنطقة. ومع ذلك فإنّ إقامة مؤتمر بغداد للتعاون والشراكة "شكّل منعرجاً حاداً في المسار الدبلوماسي للبلد وعزز ثقته كدولة محورية في العالم العربي والمنطقة.

نستنتج مما سبق أنّ مؤتمر بغداد كان نقطة انطلاق هذا البلد لإستعادة دوره في المنطقة. فكانت هذه القمّة أهم محاولات العراق وانطلاقه باتجاه تحويل البلد إلى قوة فعالة في الشرق الأوسط؛ ما يعني أنّ العراق حقق طفرة نوعية للخروج من دوامة الأزمات والصراعات التي عصفت بالبلاد وعاثت في الأرض فساداً لعدة عقود.

وفي هذا السياق يرى خبير شؤون الشرق الأوسط وعضو مجلس العلاقات الخارجية ستيفن كوك أنّ مساعي مصطفى الكاظمي الجبارة لإحداث تحول جذري على المستويين الداخلي والخارجي بلغت ذروتها في إقامة مؤتمر بغداد الأمني للعب دور الوسيط والوقوف على مسافة واحدة بين الدول المتصارعة. والأمر الذي حوّل العراق من بؤرة التوترات إلى لاعب يمكنه أن يؤدي دور الوسيط في منطقة تعج بالصراعات والنزاعات منذ عقود. ويعتقد ستيفن كوك أنّ العراق أصبح في طليعة الدول التي تسعى لإستتباب الأمن بعدما عاش عقود من الأزمات الطاحنة والصراعات الداخلية التي استنزفت طاقاته على كافة المستويات.⁹

ويأمل الشعب العراقي أن يؤدي مؤتمر بغداد والمبادرات المثيلة إلى تعزيز مكانة العراق في المنطقة وتعزيز علاقاته مع الدول العربية وعودته إلى حاضنته العربية وبنعكس إيجاباً على الوضع

8. وزارة الخارجية العراقية، «وزير الخارجية فؤاد حسين يجري اتصالاً هاتفياً بمستشار الأمن القومي الأمريكي جاك سوليفان»، 72 أغسطس 2021، متوفر على الرابط: <https://www.afom.vog.qi.vog/80/1202/qi.vog.afom.www//:sptth>

9. Steven A. Cook, "Iraq Is the Middle East's New Power Broker", August 11, 2021, available at: <https://foreignpolicy.com/2021/08/11/iraq-is-the-middle-east-new-power-broker>.

الداخلي للبلاد ويقلص حجم التدخلات الأجنبية في بلادهم.¹⁰

يمكن اعتبار مؤتمر بغداد محاولة لإحياء المجد التليد لبلاد الرافدين واستعادة عظمتها التي شهدتها عبر القرون. فقد يرى القادة العراقيون أنّ تحقيق هذا الهدف ولعب دور ريادي في العالم العربي لا يتحقق إلا من خلال وضع آليات واضحة تخرج العراق من عنق الزجاجة وتحول البلاد من بؤرة خلافات وصراعات إقليمية ودولية إلى دولة تستطيع أنّ تقود البلاد العربية وتؤدي أدواراً حساسة لحل النزاعات العربية والإقليمية. فكان مؤتمر بغداد من أبرز الآليات التي اتخذتها بغداد لتحقيق هذا الهدف. وقد أكد الكاظمي ضمن إشارته إلى هذا الموضوع قائلاً: «لقد قطعنا عهداً مع الشعب العراقي أنّ نعيد للعراق مكانته السابقة في المنطقة.»

بشكل عام يمكن القول إن مؤتمر بغداد يُعتبر خطوة جبارة نحو إنهاء الصراعات في المنطقة وتقريب وجهات النظر بين الدول بمختلف توجهاتها. والعراق يستطيع من خلال إقامة مثل هذه المؤتمرات أن يوصل دول المنطقة إلى برّ الأمن. إذ إن هذه المؤتمرات تشكل عصا سحرية لإنهاء الصراع في منطقة تعج الصراعات منذ عقود؛ الأمر الذي سيحول العراق إلى لاعب إقليمي ذي تأثير كبير على الساحة السياسية.

تحديات عودة العراق إلى الساحة الإقليمية

يواجه العراق تحديات وعقبات داخلية وخارجية جمّة لكي يستعيد مكانته الطبيعية على الساحة الإقليمية. داخلياً يواجه العراق تحديات عديدة يمكن أن تحول دون عودة العراق إلى مكانته الطبيعية على المدى القصير. وعانى هذا البلد في السنوات الماضية من تحديات اقتصادية، وسياسية، وأمنية واجتماعية يُستبعد أن يتجاوزها على المدى المنظور. فالتداعيات الاقتصادية التي ألقت بظلالها على البلد، وجائحة كورونا والتحديات التي خلقتها للمنظومة الصحية المتداعية، وتحديات توفير الكهرباء للمواطن، ومواصلة الاحتجاجات ضد الحكومة، والمواجهات بين الحكومة والمليشيات المسلحة التي أخذت منحى تصاعدياً في الآونة الأخيرة والقضايا الأخرى التي شكلت ضغطاً مضاعفاً على الحكومات العراقية وعرقلت مسار التطور والإزدهار في البلاد.

وما يزال يشكل داعش خطراً محدقاً بأمن العراق واستقراره خاصة في المناطق التي استولت

10. سكاى نيوز، «هل يكسر مؤتمر بغداد عودة العراق للمنظومة العربية؟»، 03 أغسطس 2020، متوفر على الرابط: <https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1460191-%D9%8A%D9>

عليها تلك الحركة الإرهابية. وما زالت الحركة تشنّ هجماتها على القوات الأمنية وعناصر الحشد الشعبي، وتأخذ المدنيين كرهائن لابتزاز ذويهم. فلم تؤد حتى الآن العمليات العسكرية التي تقوم بها قوى الأمن ومجموعات تابعة للحشد الشعبي إلى القضاء على جيوب داعش الذي أحدث تغييرات تكتيكية في عملياته الإرهابية.¹¹

وما يزال رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي يواجه مواجهة الجماعات المسلحة التي تتمتع بقوة كبيرة في الساحة العراقية. وشهدت الساحة العسكرية تزايداً ملحوظاً في عدد الهجمات التي تشنها أذرع الحشد الشعبي على السفارة الأمريكية في بغداد بحيث بلغت ذروتها بعد اغتيال اللواء قاسم سليمان وأبو مهدي المهندس في كانون الثاني 2020. ودائماً ما توجه أصحاب الإتهام إلى هذه الجماعات المسلحة. فبعد إلقاء القبض على أحد جماعة عصائب أهل الحق إحدى أذرع الحشد الشعبي باتهام ضلوعه في قصف السفارة الأمريكية في كانون الأول الماضي، جال عناصر هذه الجماعات في شوارع بغداد بعرباتهم وعتادهم العسكري الضخم وعرضوا قوتهم على اللاعبين في الساحة السياسية. وبُث عدد من الفيديوهات في شبكات التواصل يظهر فيها عناصر هذه الجماعات ملثمين ومسلحين يهددون الكاظمي ويعلنون له أنهم ينتظرون أوامر قائدهم لخوض المعارك. وخرج الكاظمي عن صمته حين أكد لهم أنّ الحكومة مستعدة لخوض معركة حاسمة. كما شهدت الساحة العراقية في الآونة الأخيرة ظهور عدد من الجماعات المسلحة المنفلتة من عقاب القانون كعصائب ثورة 1920، وجماعة أصحاب الكهف. يبدو أنّ جميع التحركات التي تقوم بها هذه الجماعة كالقصف الصاروخي التي نشهدها بين الفينة والأخرى، تريد هدفاً واحداً وهو تهديد القوات الأمريكية في العراق وإجبارها على مغادرة البلاد.¹²

أما تفشي جائحة كورونا فقد كانت بمنزلة الضربة القاضية لاقتصاد العراق المترنح أصلاً؛ فما زاد الطين بلّة هو عدم تعاطي المنظومة الصحية مع هذه الجائحة. وفي بلد يعتمد اقتصاده على النفط بنسبة تسعين بالمئة فإنّ أيّ تذبذب بالأسعار سوف ينعكس سلباً على اقتصاده. وانخفاض أسعار النفط في الأشهر الأولى من العام الميلادي الجديد الذي تزامن مع خطة أوبك بلاس لخفض الإنتاج، أدّى إلى تدهور الاقتصاد العراقي بحيث عجزت الحكومة العراقية عن دفع رواتب موظفيها

11. علي نجات، «العراق وإمكانات تصدّر داعش المشهد مرة أخرى»، سلسلة إصدارات، مركز البيان للدراسات والتخطيط، أغسطس 2020، ص 81.

12. حسن ابوحسين، «العراق يستعد لسنة صعبة»، «عراق براى سالى سخت آماده مى شود»، بي.بي.سى

فارسي، متوفر على الرابط: <https://www.bbc.com/persian/world-features-55525491>

ورواتب المحالين إلى التقاعد. لكن حملة التلقيح التي شهدتها العالم رفع أسعار النفط نسبياً؛ لكن لم يتضح حتى الآن ما إذا يتمكن النفط من استعادة عافيته بالكامل أم لا؟ وهل ستعود الأسعار إلى ما كانت عليه في السابق أم ستكثفي بارتفاع طفيف. ولكي تتجاوز الحكومة العراقية هذه المشكلة اضطرت إلى الإستقراض الداخلي وخفض قدرة عملتها الشرائية إلى ما يقارب الـ 20 بالمئة، الأمر الذي أدى إلى رفع أسعار السلع وتسبب في اندلاع احتجاجات عارمة نتيجة عدم دفع الرواتب في وقتها المحدد. أما إقليم كردستان العراق فلم من الأزمة الاقتصادية، إذ اكتوى بناها حين عجزت حكومة الإقليم من دفع رواتب الموظفين وخروج بعض منهم إلى الشارع للإحتجاج على تردّي الوضع الإقتصادي. وما يزيد من ضبابية الوضع في العراق هو عجز الحكومة عن توفير المياه والكهرباء للمواطنين؛ الأمر الذي يُستبعد أن تتجاوزه الحكومة على المدى المنظور.

سياشياً يمكن القول إن الأزمات الاقتصادية المتتالية وتردّي القطاع الخدمي وعدم توفير الخدمات العامة الذي أدى إلى احتجاجات في مختلف مناطق العراق، كانت السبب الأساس في التغييرات التي شهدتها العراق. ورداً على هذه الاحتجاجات اضطر البرلمان على إعادة النظر بقانون الانتخابات وآلية الاقتراع واستبدال إمكانية التصويت للأفراد إلى إمكانية التصويت للأحزاب. وما تزال الاحتجاجات تشكل تحدياً كبيراً للحكومة العراقية وتعرقل مسار عملها. فقد يبدو أنّ الحكومة غير قادرة على إحداث تغييرات سياسية واقتصادية جذرية ترضي الشارع العراقي. فلم يعد الناخب يعقد الآمال على نتائج الانتخابات، لأنّ ظهور شخصيات جديدة بتوجهات جديدة أمر يستحيل حدوثه في ظل الوضع المتردي الذي يسود العراق منذ زمن بعيد. التحدي الآخر الذي تواجهه الحكومة العراقية يتمثل في أزمة النازحين. فقد قررت وزارة الهجرة والمهجرين العراقية في كانون الثاني 2020 تعطيل جميع مخيمات النازحين في بدايات عام 2021. ففي إبان سيطرة داعش على معظم مناطق العراق وزحفه على مساحات شاسعة رغم محاولة دحره، انضوى سكان هذه المناطق المقدر عددهم بثلاثة ملايين نسمة، تحت لواء هذه الحركة بعد إرغامهم على مغادرة منازلهم. فقد طالبت الحكومة هؤلاء النازحين بالعودة إلى منازلهم والمشاركة في إعادة بنائها حسب رأي الوزارة. لكن الدمار الهائل الذي حلّ بالمدن التي كانت منضوية تحت لواء داعش وانهاية البنية التحتية وانعدام الأمن في تلك المدن يجعل هؤلاء النازحين يفضلون المخيمات على منازلهم والعزوف عن القدوم لأوطانهم. لكنّ المشكلة لم تقتصر على عزوف النازحين عن مغادرة المخيمات، بل ثمة مشكلة اقتصادية تحول دون ذلك؛ إذ أنّ معظم هؤلاء النازحين كانوا يجارون تحت لواء داعش والكثير من أراامل عناصر داعش قد أنجبن منهم؛ الأمر الذي يجعل سكان المدن يرفضون عدوتهم

إلى ديارهم. وعلى الرغم من المساعي الحثيثة التي بذلت لدمج هؤلاء والمحادثات التي أجرت مع شيوخ العشائر إلا أنّ هذه الأزمة ما تزال عالقة وتقتضي خطط على المدى القصير والبعيد لدمجهم مع مجتمع العراقي بشكل ممنهج. فما يغض مضاجع الحكومة هو ظهور جيل جديد من المقاتلين الداعشيين في حال بقي هؤلاء النازحون في المخيمات.¹³

وفضلاً عن الأزمات والقيود الداخلية، فإن التحديات الخارجية تجعل عودة العراق إلى مكانته الإقليمية السابقة صعباً للغاية. وما يزال العراق يشكل معضلة معقدة بالنسبة لدول الجوار، القريب والبعيد، ليس من مصلحة أي دولة إقليمية أن يعود العراق قوياً فاعلاً في الإقليم، لأن قوته تعني تمدد نفوذه إقليمياً، بما سيأكل من نفوذ هذه الدول الذي حازته منذ خروج العراق من المعادلة بعد غزو الكويت، فضلاً عن انتهاء نفوذ هذه الدول في العراق ذاته في حال استعاد العراق قوته. إلى جانب ذلك خوف الدول الإقليمية من تجربة النفوذ العراقي التي انتهت بكارثة غزو الكويت عام 1990 لما تزل غضة، وإن نشوة القوة التي امتلكتها الدول الإقليمية تجاه العراق الضعيف لاتزال قوية وفاعلة.¹⁴

فرص عودة العراق إلى الساحة الإقليمية

العراق من الدول المهمة والرئيسية في المنطقة، والتي لا يمكن أن تكون دون دور مؤثر في محيطها، ولو غاب هذا الدور أو تراجع لبعض الوقت لأسباب وتحديات داخلية أو خارجية، فإنه يعود، وي طرح نفسه على أذهان النخبة السياسية في الداخل من جهة، وعلى القوى في المنطقة من جهة أخرى في حال تهيأت الظروف لذلك.

وعلى عكس بعض اللاعبين الإقليميين كالإمارات وقطر التي لم تمتلك المقومات لتكونا دولتين عظميين، يمتلك العراق كل مقومات التي تمكنه ليكون قوة إقليمية.

فالعراق يُعد دولة ذات تأثير كبير من جميع النواحي. فهو يمتلك طاقات كبيرة ومخزونه كل ما يحوّل بلد ما إلى لاعب إقليمي. فعلى المستوى المادي يتمتع العراق بمساحات شاسعة، ويد عاملة ومعظم جمعية البلاد من فئة الشباب، وله موارد اقتصادية كبيرة كالنفط والغاز. أما على المستوى الروحي فيتمتع العراق بمكانة دينية كبيرة نظراً لوجود المراكز الدينية، كما له تاريخ حضاري وثقافي

13. المرجع السابق.

14. مركز رواق بغداد، «فرص عودة العراق إلى الساحة الإقليمية»، مركز رواق بغداد للسياسات العامة، تقدير موقف، أغسطس 2012، ص 7.

يمتد لآلاف السنين. كل هذا يمكن أن يحوّل العراق إلى قوّة إقليمية لها ثقلها في المنطقة.

تاريخياً للعراق حضارة كبيرة تمتد لآلاف السنين ويستضيف مرافد دينية إسلامية وغير إسلامية. فهذا المجد المؤثّل الذي ورثه العراق من حضارته التليدة يعتبر من أهم مقومات التطور والتقدم. ففي الواقع يمتلك العراق مكونات القوة الناعمة. ومن الناحية الدينية كما سبق القول، يستضيف في أراضيه مرافد دينية مهمة كالعبدة العلوية في النجف والعبدة الحسينية في كربلاء اللتين تستقطبان الكثير من الزوار الشيعة في المنطقة والعالم بأسره نظراً لما يوليه المسلمين من احترام لآل بيت الرسول (ص).

ومن ناحية اليد العاملة فقد ناهز العراق عام 2020 للميلاد الـ40 مليون نسمة، ينتمي معظمهم إلى الفئة العمرية التي تعتبر المحرك الأساس لكل اقتصاد واليد العاملة التي تدير عجلة الصناعة. ووفقاً للتقرير الذي أصدرته مؤسسة GFP العالمية تحتزن أرض الرافدين في جوفها مخزون هائل من الوقود الأحفوري بلغ 148 مليار برميل. ما يجعل هذا البلد خامس أكبر دولة من حيث المخزون والثانية في العالم العربي.

ووقوع العراق في مركز منطقة الشرق الأوسط وامتلاكه مخزونا هائلا من النفط جعله يتمتع بأهمية جيوسياسية وجيوستراتيجية كبيرة. يُذكر أنّ العنصر الجيوسياسي أحد أهم العوامل المصرية التي تحدد ملامح السياسة الخارجية والدفاعية والأمنية لكل بلد. إذن الموقع الجيوسياسي ووقوع العراق في منطقة غرب آسيا وحدوه مع إيران، وتركيا والسعودية كدول متنافسة إقليمياً ضاعف أهمية هذا البلد وجعله محط اهتمام دول منطقة والعالم. ففي هذا السياق يرى المحلل البارز في «مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية» أنتوني كوردسمان¹⁵ أنّ الموقع الجغرافي والموارد النفطية الهائلة ووجود 40 مليون نسمة والفرص الأخرى التي ينفرد بها العراق، جعل هذا البلد يتمتع بمكانة مميزة في العالم. فهذه الطاقات البشرية، والاستثمارات الاقتصادية والاجتماعية من شأنها أن تجعل العراق بلداً مؤثراً جداً في المنطقة.

15. Anthony H. Cordesman.

النتيجة

شهدت الأعوام الأخيرة وفي آخر أيام حكومة صدام حسين واحتلال العراق من قبل الولايات المتحدة عام 2003 بوجه خاص، تضاؤل حضور العراق في الساحة الإقليمية بشكل ملحوظ؛ لكنّ بغداد تسعى للولوج في الساحة من خلال أداء دور الوسيط بين الدول المتصارعة وتؤدي دوره المعهود في مثلث القوى الإقليمية. فبعد هزيمة داعش في نهايات عام 2017 تسعى بغداد عن طريق سياسة الوساطة وتقريب أوجه النظر في منطقة تعج بالصراع، أن تعيد مكانتها بين دول الإقليم. وقد بلغت هذه المساعي ذروتها بعد أن تقلد مصطفى الكاظمي مقاليد الحكم في البلاد.

وزيارة البابا فرنسيس الزعيم الكاثوليكي إلى العراق في آذار 2021 والوساطة العراقية بين إيران والسعودية، وإقامة مؤتمر ثلاثي حضره قادة العراق، والأردن ومصر، وأخيراً إقامة قمة بغداد للتعاون والشراكة، وغيرها من الأحداث إنّ دلّت على شيء فإنّها تدلّ على أنّ العراق في 2021 يختلف تماماً عما سبق فلا مجال لمقارنة هذه البلد بما عاشه قبل هذا التأريخ.

فبعد ما كان العراق بؤرة الصراع في المنطقة وموطناً للكثير من الإرهابيين كتنظيم داعش، يسعى من خلال تقريب أوجه النظر والوساطة بين الدول المتصارعة ورأب الصدع بينها، أن يؤدي دور الوسيط ويستعيد مكانته السابقة. فالوساطات التي قام بها العراق والمؤتمرات التي أقامها في عاصمته تثبت أنّ العراق يسعى للمصالحة ورأب الصدع بغية تخفيف حدّة التوتر الذي أخذت منحنى تصاعدياً في الأعوام الأخيرة.

نظراً لما يتمتع به العراق في العالم الإسلامي والعالم العربي والموقع الجيوثقافي، والجيواستراتيجي، والجيوسياسي، والجيواقتصادي الذي يحظى به العراق في المنطقة، يستطيع هذا البلد أن يؤدي دور الوسيط، إذ له طاقات هائلة تمكنه ليكون لاعباً إقليمياً مؤثراً.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل المبادرات التي قام بها العراق ستأتي أكلها وتستعيد العراق إلى مكانته السابقة؟ رداً على هذا السؤال يمكن القول أنّ العراق يمتلك كل الطاقات والمؤهلات التي يجب أن تتوفر في بلد يريد لعب دور الوسيط. وشهد هذا البلد في السنوات الماضية تطوراً ملموساً في استثمار مصادره وقفزة نوعية في استثمار طاقاته.

فإذا تكلفت جهود بغداد في الوساطة بين طهران والرياض وتمكن من ملء الفجوة بين البلدين، فإنّ هذا الأمر سيضع العراق في مكانة مرموقة بين دول الإقليم والعالم. وهذا الإنجاز لدولة تضائل ظلها في المنطقة لسنوات طويلة، يعتبر إنجازاً لا يُستهان به.

لكن العقبة الكبيرة للعراق تتمثل في الداخل، كالفساد المستشري في البلاد، والمشكلات السياسية، والأمنية والاقتصادية، وانهميار البنية التحتية، وانعدام الخدمات العامة وضعف القطاع الخدمي خاصة في قطاع الكهرباء، والمشكلات العديدة التي يواجهها القطاع الصناعي والتجاري والتدخلات الأجنبية، جعلت من عودة العراق إلى مكانته السابقة أمراً صعباً جداً. لكن هذه الأمور لا تعني أنّ العراق لا يستطيع أداء دوره الإقليمي؛ لأنّ القوى الإقليمية نفسها كإيران، وتركيا والسعودية تواجه تحديات جمة. وهذه الأمور تؤكد لنا أنّ العراق إذا تمكن من تجاوز هذه العقبات الداخلية وحل الخلافات السياسية، فإن العودة إلى مكانته السابقة ستكون مسألة وقت لا أكثر. ففي الواقع يمكن القول إن العراق إذا فشل في لعب دور إقليمي على المدى القصير؛ فإنّه سوف ينجح في أن يكون لاعباً إقليمياً على المديين المتوسط والبعيد. وما يعزز حظوظ العراق في العودة إلى مكانته السابقة هو دعم الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. فقد يعد العراق حليفاً إقليمياً لهما.

مقترحات سياسية

وفي نهاية تجدر الإشارة إلى بعض المقترحات والنصائح السياسية للحكومة والتيارات السياسية العراقية لاستعادة دور العراق الإقليمي والعودة إلى الساحة الإقليمية.

- دعم التيارات السياسية والدينية لتشكيل حكومة قوية في الانتخابات المقبلة.
- استمرار سياسات الحكومة الجديدة في الدبلوماسية الفعالة.
- الاستمرار بسياسة الوساطة بين الدول المتصارعة.
- صيانة الانسجام والتماسك الداخلي والتلاحم الاجتماعي.
- محاربة الفساد المستشري في البلاد بالوسائل المتاحة.
- تعزيز القوة العسكرية عن طريق رفع قدرات الجيش واقتناء المعدات العسكرية الدفاعية والهجومية مثل: أجهزة رادارات الاستكشاف، والدفاعات الجوية والمقاتلات المتطورة.
- نزع السلاح عن كل الجماعات المنفلتة من عقاب القانون.
- ضرورة ولاء كل الأجهزة الأمنية للحكومة.
- اجتثاث الإرهاب من جذوره والقضاء على البؤر الراحية للإرهاب.
- إنشاء علاقات وطيدة بين القوى الإقليمية واللاعبين الإقليميين.
- التصدي لكل الجهات والدول التي تنوي التدخل في شأن العراقي.
- حل مشكلات العراق الداخلية، وإنشاء بنية تحتية قوية وحل مشكلة الكهرباء.
- ضمان الأمن والاستقرار؛ بهدف استقطاب الاستثمارات الأجنبية.

المصادر:

- حسن فحص، «قمة المشرق الجديد في بغداد؛ حاجة داخلية أم ضرورة إقليمية؟» انديبننت عربي، 28 يونيو 2021، متوفر على الرابط:
<https://www.independentarabia.com/node/236656/>
- حسن ابوحسين، «العراق يستعد لسنة صعبة»، «عراق براى سالى سخت آماده مى شود»، بي.بي.سى فارسي، متوفر على الرابط:
<https://www.bbc.com/persian/world-features-55525491>
- علي نجات، «العراق وإمكانيات تصدر داعش المشهد مرة أخرى»، سلسلة إصدارات، مركز البيان للدراسات والتخطيط، أغسطس 2021، ص 18.
- علي نجات، (مذاكرات عربستان سعودى و ايران، ضرورتها و موانع)، «المحادثات السعودية - الإيرانية؛ الضرورات والعقبات»، مركز آينده پژوهى جهان اسلام، 10 مارس 2021.
- سكاى نيوز، «هل يكرس مؤتمر بغداد عودة العراق للمنظومة العربية؟»، 30 أغسطس 2021، متوفر على الرابط:
<https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1460191-%D9%8A%D9>
- شفق نيوز، «مسجدي: إيران تقف بقوة مع العراق ولدينا جولة مفاوضات رابعة مع السعودية»، 30 أغسطس 2021، متوفر على الرابط: <https://b2n.ir/h14790>
- مركز رواق بغداد، «فرص عودة العراق إلى الساحة الإقليمية»، مركز رواق بغداد للسياسات العامة، تقدير موقف، أغسطس 2021، ص 7.
- وزارة الخارجية العراقية، «وزير الخارجية فؤاد حسين يجري اتصالاً هاتفياً بمستشار الأمن القومي الأمريكي جاك سوليفان»، 27 أغسطس 2021، متوفر على الرابط:
<https://www.mofa.gov.iq/2021/08/?p=25531>

- Andrew England, “Saudi and Iranian officials hold talks to patch up relations”, APRIL18, 2021, Available at: <https://www.ft.com/content/852e94b8-ca97-4917-9cc4-e2fae-f4a69c8>.
- Akeel Abbas, “Baghdad Conference showcases Iraq’s new role as mediator in region”, August 27, 2021, available at: <https://www.al-monitor.com/originals/2021/08/baghdad-conference-showcases-iraqs-new-role-mediator-region#ixzz7563XcWHF>.
- George Friedman “Syria, Iran and the Balance of Power in the Middle East”, November 22, 2011, available at: <http://www.stratfor.com/weekly/20111121-syria-iran-and-balance-power-middle-east>.
- Katherine Harvey and Bruce Riedel, “Can Iraq play the role of a bridge in the Gulf?”, April 22, 2021, available at: <https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2021/04/22/can-iraq-play-the-role-of-a-bridge-in-the-gulf>.
- Steven A. Cook, “Iraq Is the Middle East’s New Power Broker”, August 11, 2021, available at: <https://foreign-policy.com/2021/08/11/iraq-is-the-middle-east-s-new-power-broker>.